ابو العلاء المعري

حديثكَ عن بحرٍ اذا هاج أرعبا ... فحدثْ عند الخوض أن تتهيبا
ولكنهُ البحرُ الذي لا تَرُمْ بهِ ... عواصفُ تدري ابراسيات لتلعبا
وخلجانهُ درٌّ تعقده الضحى ... وشطآنهُ تبرٌ تبعثره الصبا
ويقصده الصادي فيلفيه كالندى ... وأطهرَ من دمع الصباح وأعذبا
سلامٌ على شيخ المعرّة أنهُ ... أفاض على الاجيال سحراً مركّبا
سلافةُ شعرٍ في اباريق حكمةٍ ... يطوف بها عانٍ اذا افترَّ قطّبا
رمتهُ يدُ الاقدار باليتم والعمى ... فكان له العقلُ الهدى والهدى الأبا
وغادرهُ الجدري صبيًّا مشوَّهاً ... حكى جلدُهُ الدنُ الطريقَ المحصَّبا
فما فيهِ ما يرضي العيونَ وانما ... بهِ كلُّ ما يرضي الشعورَ المهذَّبا
ترى وجههُ كالقفر حرَّانَ مجدباً ... وما خلفهُ كالروض ريَّانَ مخصبا
فيا لكَ نفراً لا ترى غيرَ شوكهِ ... ويا لكَ شوكاً يستُ العرفَ طيّبا
ويا لكِ دنيا بين حينٍ وآخرٍ ... تمتعُ محروماً بما عزَّ مطلبا

***

تسدَّدتِ الاقدار إرهاقَ اجدرِ ... فأصمعهُ آياً من الهزء مُعربا
وحاكت لهُ ثوباً قشيباً من الأذى ... فحاكَ لها ثوباً من السخط أشيبا
وأدَّبت الدنيا بنيها فنالها ... فتىً هالهُ ان لا يكونَ المؤدَّبا
وما عرَّقت نفساً اعزَّ ولا نهىً ... أصحَّ ولا عوداً أشدَّ وأصلبا
رأت في صباها شيبَهُ فتعجبت ... وشبَّ لدنٌ شابت فزادت تعجبا
خنودٌ لو أنَّ الشمس تحظى بمثلهِ ... لما جاء في التنجيم عن موتها نبا
فقد يطفىء الموتُ الكواكبَ تاركاً ... على رغمهِ فرق السماكين كوكبا

ويمحو جميعَ القول الاَّ حقيقةً تجوب فجاج الارض شرقاً ومغربا
ليعرُبَ هذا المجد يا وُلْدَ يعرب فأيّ كريمٍ لا يمجّد يعربا
وللشام هذا الارثُ يا آل جلّقٍ ألا فليرِثْه لبنانُ وللشيخ الربى
ولو شاءت الدنيا الى الحقّ عودةً لسارت الى ارض المعرّة موكبا
وحجّ ضريح الشيخ طلاّبُ علمه كما حجّ طلاّبُ البركِ يثربا

***

ألا ايها الاعمى البصير الذي رأى بفطنته قلبَ الورى المتقلبا
وأبصر بالعقل الخفيات كاشفاً وراء التقى والبرّ مكراً ومأربا
ولم يرَ في الاديان إلاّ حبائلاً يصيد بها الداعي اليها الاكسّبا
حنانيكَ إنّ الالفَ مرّت ولم تزل تداوي من الانسان صلاًّ وعقربا
توخّيتَ إصلاحَ ابن آدمَ غيرةً وقد كان إصلاح السراحين أقربا
وحاولتَ إطفاء الشرور ولم يكن على الشيخ إطفاء البراكين أصعبا
ومن رام تقويم الطباع التي التوَت قضى يائساً منها كما عاش متعبا
فإنّ الذي فارقتهُ متعصباً لقد زادهُ مرُّ الليالي تعصّبا
وما خفتت في اللاذقية ضجّةٌ وما زال ذيّاك الصحيحُ محجّبا
فما الناس الاّ اثنان ضارٍ مدجّجٌ ومستضعفٌ لم يُعطَ ناباً ومخلبا
وإنّا لَنخشى ان نصاحبَ ضيغماً وإنا لنأبى ان نصاحبَ ثعلبا
وما عزّ من يسطو على حقّ جاره ولو مدّ بين الارض والشمس كوكبا
وما ذلّ حقٌّ في عراكٍ لباطلٍ وكم ربَّ حقٍّ قد أُذلّ وخُيّبا
وليس يفيد الحقُّ في الحرب ربّهُ اذا قُرِنَ في الكفّ المهنّدُ أو نبا
وفيمَ اقتتالُ الناس والموتُ قصدُهم سيبلغهُ من هفّ منهم ومن حبا
فلو أنفقوا بعضَ الذي يخفرونهُ على الشرّ من جهدٍ على الخير ما كبا
قد اختلفوا روحاً وعقلاً وفطرةً كما اختلفوا داراً ودِيناً ومذهبا
لهم مجلسٌ للسلم تمتدُّ فوقهُ سحائبُ نقعٍ تجعل النور غيهبا

اذا اجتمعوا فيه لترتيب خطة ... توقعت الاعزال شراً مرتبا
وإن ألصقوا شعباً ضعيفاً بقولهم ... رأى يلصقهم بالنفس ظلماً مشعبا
ولو وصلت أبحاثهم في اجتماعهم ... الى الشيخ رموا الجهل اضحك أغربا

***

فيا من رأى في الدين قيداً لعقله ... فأعمل فيه مبرد النقد مغضبا
فلم يرَ في الاشياع من خلقائه ... وفي قتله الا حديداً مذهبا
فأطعن للغاوين لا متهيباً ... ولا طامعاً ما كان عنهم مغيبا
وأفيقوا أفيقوا يا غواة فانما ... دياتكم مكر وأحلامكم هبا
فما عملوا الا برجع قلوبهم ... فأعرض عنهم مشفقاً متحببا
وآثر ان يحيا بقية عمره ... سجيناً اذا جاءوا يؤاسونه أبى
على أنهم لا مهربٌ من بحثهم ... كما جاء ظمآنٌ نميراً ليشربا
عطاشاً الى ما يُسكر النفس حوله ... حياعاً الى ما يُشبع العقل سغبا
صبابتهم شعرٌ وعلمٌ وانهُ ... خزانة اشعار وعلم لمن صبا
يقول لهم عودوا الى العقل كلما ... دعيتم الى تصديق ما العقل كذبا
من اشتار ما كذبته النحلة اعتدى ... ومن نفس الشاة البريئة أذنبا
ومن مرح البرغوث اسر كفه ... أعد له في دولة الفضل منصبا
تسالم انسان وعطف ورأفة ... وبيدة تكسير وبرهٌ قط ما حبا
ولكنها ما لم تلم الشر سرّة ... فتابعها باغي شقيا معذبا
وما دام ثابٌ للشر يربه جرأة ... فأهلا بسهلا بالثوب ومرحبا!

***

سلامٌ امام الناس حتى ... من الشعر يحكي ترجها المتهيبا
أرف وراء الناس ... يظل الانام الحيرة ... حضرا

برازيل الياس فرحات